

فَحَيْتَا الْحَسْبَا

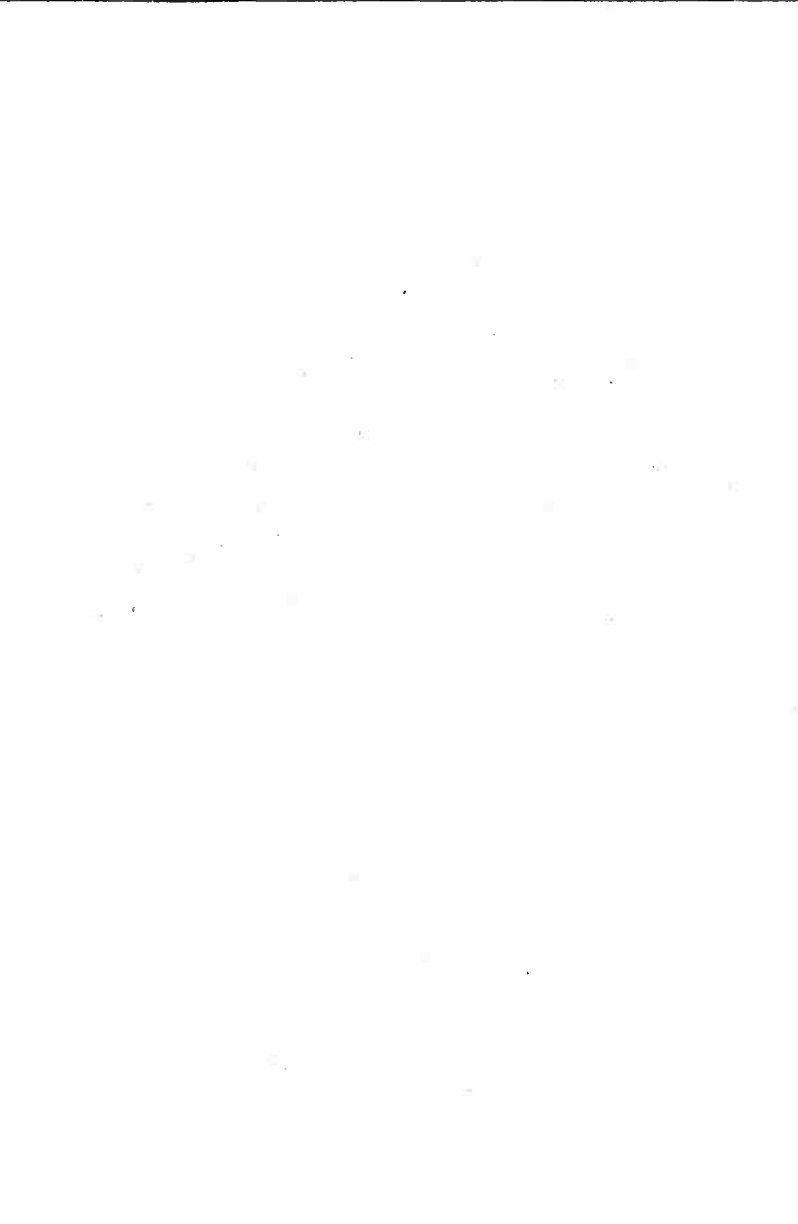
الناشر: المكتب المصري الحديث
٢ شارع شريف عمارة اللواء بالقاهرة تليفون ٧٥٤١٢٧
٧ شارع نوبار بالاسكندرية تليفون ٢٦٦٠٢

عبد الحميد كشك

فَحْتِ الْحَسَنَاتِ

اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً
(قرآن كريم)

المكتب المصري الحديث



بسم الله الرحمن الرحيم

« وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأُنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا » .

صدق الله العظيم

سورة النساء الآية : ٣٩ - ٤١



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد

فإن هذا الكتاب يذكر العبد بما سيجرى عليه في ساحة الحساب يوم العرض على الله تعالى وكفى بها ساحة . إذا قال العبد يارب لِمَ لَمْ ترسل إلى إنذاراً بحضور هذه الجلسة قال له الله تعالى : لقد كنت تقرأ الإنذار في صلواتك في كل ركعة ألم تقرأ في سورة الفاتحة مالك يوم الدين فأنا المالك وهذا يوم الدين . إذا قال العبد يارب فمن أوصلني هذا الإنذار قال له الله « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » .

إذا قال العبد يارب انظرني حتى أحضر الشهود قال له الله « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين » . إذا قال العبد يارب انظرني حتى أوكل محامياً يدافع عني قال له الله « وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً » .

إذا قال العبد يارب أتقبل مني كفالة مالية أو شخصية قال له الله « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من آتى الله بقلب سليم » . إذا قال العبد يارب سأستأنف الحكم قال له الله « ما يبذل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد يوم نقول لجهنم هل امتلأت ونقول هل من

مزید وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل أبواب
حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب » .

إذا علمت هذا وتأكدت لديك تلك المعاني فقف كثيراً عند قول
البارى تبارك اسمه « يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم
ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون
وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا
أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله
نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون » .

وقف كثيراً عند قول رسول الله ﷺ لا تزول قدما عبد من بين
يدى الله عز وجل حتى يسأل عن أربع : شبابك فيم أبليتة وعمرك فيم
أفنيته ومالك من أين اكتسبته وفيم أنفقته وعلمك ماذا صنعت فيه .
جاء في كتاب الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها حديث عن العرض
على رب العالمين قال الأستاذ/عبد الله سراج الدين :

قال الله تعالى : وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم
أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا .

والمعنى أن العباد يعرضون على ربهم مصطفين صفا صفا ويقال
للكافرين المنكرين للحشر « لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة » أى
حفاة عراة ليس معكم شيء مما كنتم تفتخرون به من الأموال والخدم
والحشم « بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا » أى زعمتم وأنتم في
الدنيا أن لن نجعل لكم وقتا لحسابكم وسؤالكم .

روى الديلمى وابن منده - واللفظ له - عن معاذ بن جبل رضى
الله عنه أن النبى ﷺ قال : « إن الله تعالى ينادى يوم القيامة :

يا عبادى إني أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين ، احضروا حجتكم ويسروا جوابكم فإنكم مسؤولون محاسبون ويقول سبحانه : يا ملائكتى أقيموا عبادى صفوفًا على أطراف انامل أقدامهم للحساب .

قال الله تعالى « يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية » .
روى ابن أبى الدنيا بإسناده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، فإنه أخف عليكم فى الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم . وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية » .

أى فاحسنوا عملكم واصلحوا سرائركم وطهروا نفوسكم من كل خبث وفساد لأنكم سوف تعرضون على عالم السر وأخفى والتزين لذلك العرض إنما يكون بلباس التقوى تقوى القوالب والقلوب تقوى السر والعلانية ، التقوى فى الخلوات والجلوات والتقوى فى الجامع والطريق والشارع ، والتقوى عند الميزان ووراء القبان ، والتقوى فى الشرفات والنوافذ على الجيران وفى داخل البنيان .

قال العلامة الشيخ الشعرانى رضى الله عنه : وأما العرض على الله يوم القيامة فهو مثل عرض العساكر على الملك فيوقف العبد بين يدي ربه عز وجل كما يليق بجلاله ، ويقع السؤال بحسب ما يريد الله عز وجل بذلك العبد فياله من موقف يتساقط لحم الوجوه من شدة الخجل والحياء من الله عز وجل .

وجاء فى الحديث عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول

الله ﷺ : « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير ، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فأخذ بيمينه وأخذ بشماله » .

ففى العرضة الأولى يدافعون عن أنفسهم حتى إن الكافر يقول لم تبلغنا الأنبياء ويحاجون ويخاصمون . قال الله تعالى : « يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون » . فكل نفس تأتى يوم القيامة تدافع وتجادل عن نفسها ولا يهمها إلا نفسها فلا يهمها شأن غيرها من ولد ووالد وتوفى كل نفس أى تعطى وأفا كاملا جزاء عملها خيرا أو شرا « وهم لا يظلمون » بزيادة العقاب ولا بنقص الثواب .

قال تعالى « ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون » . قال ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية : يخاصم الصادق الكاذب والمظلوم الظالم والمهتدى الضال والضعيف المستكبر .

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن الزبير عن أبيه الزبير رضى الله عنهما قال : لما نزلت هذه السورة على رسول الله ﷺ « إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون » .

قال الزبير رضى الله عنه : أى رسول الله أكرر علينا ما كان بيننا فى الدنيا مع خواطر الذنوب ؟ فقال ﷺ : نعم ليكررن عليكم حتى يؤدى إلى كل ذى حق حقه » .

قال الزبير : والله إن الأمر لشديد . ورواه الترمذى وقال حسن صحيح .

وروى الإمام أحمد عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : قال

رسول الله ﷺ : « أول خصمين - أى أول متخاصمين - يوم القيامة جاران » .

قال الله تعالى « ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا : لولا أنتم لكنا مؤمنين . قال الذين استكبروا للذين استضعفوا : أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ؟ بل كنتم مجرمين : وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا : بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له اندادا ، وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون » . فالمستضعفون وهم الأتباع - والمستكبرون - وهم المتبوعون في الضلال يقفون عند ربهم ويتراجعون القول فيما بينهم بالخصام والجدل العنيف ، وكل منهم يلقي التبعة على غيره ويدفع الملامة عن نفسه .

يقول الأتباع الضعفاء للمتبعين المستكبرين : لولا أنتم تدعوننا إلى الكفر وتضللوننا بزخارف الأقوال لكنا مؤمنين بالله تعالى وبرسوله ﷺ لكن أنتم صدقتمونا عن الحق وزيتم لنا الباطل .

فيقول المستكبرون عن الإيمان والهدى للمستضعفين : أنحن صددناكم عن الهدى الذى جاءت به الرسل واضحا جليا ثابتا بالبراهين والأدلة ؟ بل كنتم مجرمين لاختياركم وإيثارك الضلال على الهدى ، وقبولكم للضلال واعراضكم عن الهدى الذى جاءكم فما نحن كفرناكم بل أنتم كفرتم بارادتكم .

فيقول المستضعفون للمستكبرين : بل مكركم بنا في الليل والنهار

على وجه الاستمرار أى ما كان اجرامنا من جهتنا بل من جهة مكرهم الدائب ليلا ونهارا ، وحملكم إيانا على الكفر بالله تعالى واتخاذ الأنداد وإلباسكم أمتعة التضليل والتسويل حتى كفرتمونا وحينذاك كل من الطرفين أسر الندامة أى أضمرها فصاروا وكلهم نادمين على ما فعلوا .

وفى المسند أيضاً عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده انه ليختصم حتى الشاتان فيم انتطحتا ؟ » .

وروى الترمذى عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير ، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف من الأيدى فأخذ يمينه وأخذ بشماله » .

ففى العرضة الأولى يدافعون عن أنفسهم حتى إن الكافر يقول لم تبلغنا الأنبياء ويحاجون ويخاصمون .

قال الله تعالى : « يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون » .

فكل نفس تأتى يوم القيامة تدافع وتجادل عن نفسها ولا يهمها شأن غيرها من ولد ووالد إلا من اكرم الله تعالى - وتوفى كل نفس أى تعطى وافيا كاملا جزاء عملها خيرا أو شرا وهم لا يظلمون بزيادة العقاب ولا بنقص الثواب .

وأما العرضة الثانية ففيها يعترفون ويعتذرون بمعاذير مختلفة فمن كان عذره صحيحا قبله الله تعالى ومن كان عذره غير صحيح رده الله تعالى ، وذلك لأن الله تعالى يقبل العذر الصحيح كما جاء فى

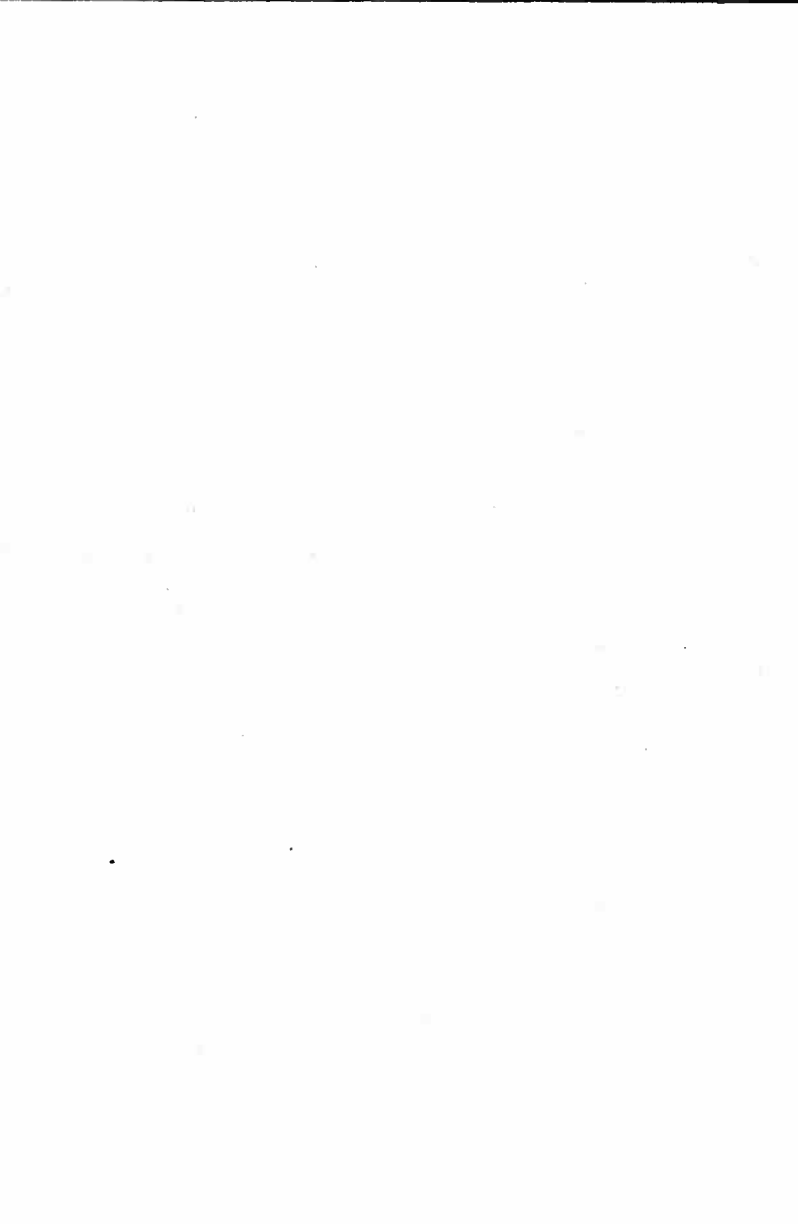
الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى » الحديث

وقد جاء في حديث صاحب البطاقة الذى رواه الترمذى وغيره أن الله تعالى ينشر له تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مد البصر ثم يقول له أتتكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبى الحافظون ؟ فيقول : لا يارب . فيقول أفلك عذر ؟ فيقول : لا يارب .. » الحديث

وأما قوله سبحانه « هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون » فهذا يكون فى بعض المواقف ، وذلك أن يوم القيامة هو يوم طويل ذو مواطن متعددة ، ومواقف كثيرة ففى بعضها يتكلمون ويختصمون وربما يحلف المشركون بالآيمان كذبا كما أخبر الله تعالى عنهم « قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم » الآية

ثم يمرون على بعض المواقف فلا نطق ولا عذر ولا كلام وقد جاء هذا عن ابن عباس رضى الله عنهما فى جوابه لابن الأزرق لما سأله عن ذلك .

وفى العرضة الثالثة يكون تطاير الصحف وتفرقها على أهلها بغاية السرعة .



موقف العبد بين يدي الله تعالى

اعلم يا عبد الله أنه لا بد لك من قرين يدخل معك وهو حي
وتدخل معه وأنت ميت فإن كان كريماً أكرمك وإن كان لئيماً خذلك
فاجعله صالحاً فإنه عملك .

أما عن الحساب فإنه أمر مقطوع به ففي الحديث الجامع الذي
نطق به رسول الله ﷺ لا تزول قدما عبد من بين يدي الله عز وجل
حتى يسأل عن أربع شبابك فيم أبليته وعمرك فيم أفنيته ومالك من
أين اكتسبته وفيم أنفقته وعلمك ماذا صنعت فيه .

وفي قول رسول الله ﷺ العبرة البالغة والحكمة العظمى والموعظة
الحسنة . والله تلموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما
تعملون ولتجزون بالاحسان إحساناً وبالسوء سوءاً وإنها لجنة أبداً أو
لنار أبداً والمتأمل في آيات القرآن يجد الحكمة الالهية البالغة قد
اقتضت أن تحذر الناس من فتنة المال والولد إذ أن تعلق النفس بالمال
بلغ مبلغاً بعيداً ومع ذلك فإن أول من يتخلى عن ابن آدم بعد موته
ماله وهو الذي صاحبه الأيام والليالي واحاطه بالعناية والرعاية
والصيانة ومن أجله كانت الشحناء والبغضاء بين الناس ومن أجله
كانت قطيعة الأرحام ومن أجله دب الشقاق في النفوس حتى تنكر
الأخ لأخيه والابن لآبيه فكم من أخوين عاشا في رحم واحد ورضعا
من ثدي واحد وناما في مهاد واحد وأكلا من رغيف واحد فرق
بينهما الدرهم والدينار هذا المال الذي اتخذته صديقاً أول من يتخلى

عنك يوم القيامة تتركه داخل بيتك لأن ملكيتك قد انتقلت منك إلى غيرك . قال ﷺ أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله قالوا يا رسول الله فامنا من أحد إلا ماله مال أحب إليه من مال وارثه قال ﷺ فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر يقول الإمام محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه . بلسان اليقين ومنطق الحق المبين عندما حضرته الوفاة وكان ذا مال كثير سأله بعض عواده يا محمد بن كعب ماذا تركت لأولادك من المال وكم تركت فقال لهم ادخرت مالى لنفسي عند ربي وادخرت ربي لأولادى .

(وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) .

نعم إن المال أول شيء يتخلى عن ابن آدم بعد موته ولذا كان الإمام يحيى بن معاذ يقول في كلمة مأثورة عنه عندما يموت ابن آدم يصاب بمصبتين لم يصب بهما أحد غيره المصيبة الأولى أنه يترك ماله كله والثانية أنه يسأل عن ماله كله . ولما كان للمال سحره في النفوس الضعيفة وللذهب رنينه لدى أصحاب العقول المظلمة وللدراهم بريقها عند أصحاب القلوب المغلفة فإن الله تعالى قدمه على الأولاد لأنه أشد فتنة منها قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم » .

وقال عز من قائل « يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب

لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خير بما تعملون » .

يقول أحد الحكماء :

رأيت الناس قد مالوا إلى من عنده مال
ومن لا عنده مال فعنه الناس قد مالوا
رأيت الناس قد ذهبوا إلى من عنده ذهب
ومن لا عنده ذهب فعنه الناس قد ذهبوا
رأيت الناس منفضة إلى من عنده فضة
ومن لا عنده فضة فعنه الناس منفضة

يقول الأستاذ عبد الله سراج الدين في كتابه (الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها) تحت عنوان السؤال :

قال تعالى « فوريك لنساءهم أجمعين عما كانوا يعملون » .

روى الترمذى وغيره عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « تسألون عن : لا إله إلا الله » والمعنى أنهم يسألون عن لا إله إلا الله من حيث الاعتقاد بها ومن حيث القول ومن حيث العمل لأن الوفاء بلا إله إلا الله يقتضى ذلك كله .

وقال تعالى : « فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كانوا غائبين » .

وفى هذا الإخبار من الله تعالى المؤكد - عما يجريه سبحانه من السؤال : التنبيه للعباد أن يستعدوا للجواب ، وذلك لأن الله تعالى سوف يسأل الأمم عن مواقفها مع رسلها وهل استجابوا لدعوتهم أم لا ؟ وهل اطاعوا ما جاءت به الرسل من عند الله تعالى أم لا ؟

وكيف كان حالهم مع رسلهم ؟

قال الله تعالى « ويوم يناديهم فيقول : ماذا أجبت المرسلين ؟
فعميت عليهم الأنبياء يومئذ فهم لا يتساءلون » .

فهو سبحانه يسأل عباده يوم القيامة عن التوحيد والإيمان بالله تعالى ، ويسألهم عن الإيمان بنبيهم المرسل إليهم ، كما سئلوا في قبورهم فقليل لأحدهم من ربك ومن نبيك وما دينك ؟ فأما المؤمن فيشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأما الكافر فيقول هاه هاه لا أدري ولهذا يأتي الكافر يوم القيامة ولا جواب له حين يسأل .

ولهذا قال تعالى في الكفار « فعميت عليهم الأنبياء يومئذ فهم لا يتساءلون » أى : فعميت عليهم الأخبار والأعذار والحجج فهم لا يحبون ولا يحتجون ، ولا يسأل أحدهم الآخر لعله يلقيه الجواب ، بل أغلق عليهم كل باب .

قال تعالى : « ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا » .

والمراد هنا عمى القلب والبصيرة لا عمى العين الباصرة وقال تعالى « فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

والمعنى من كان فى الدنيا أعمى القلب عن رؤية آيات الله وآلائه وحقائق الإيمان به فهو فى الآخرة أشد عمى واضل سبيلا .

روى الطبرانى وغيره عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال « ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به فيقول يا بن آدم ماذا أجبت المرسلين .

وهكذا تسأل العباد عن مواقفها مع رسلهم صلوات الله تعالى عليهم أجمعين .

جاء في صحيح البخارى من حديث عدى بن حاتم رضى الله عنه وفيه أن النبي ﷺ قال : « وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له فليقولن سبحانه ألم أبعث إليك رسولا فبلغك ؟ فيقول العبد : بلى .. الحديث
أى فماذا عملت بما جاءك به رسولك ﷺ « فلنسالن الذين أرسل إليهم ولنسالن المرسلين » .

ولاشك أن الرسل قد بلغت رسالات ربهم وأدوا واجبهم على أكمل الوجوه ونصحوا الأمة أسعد نصح وأن الله تعالى يعلم ذلك كله ولا يخفى عليه شيء من ذلك ولكن فى هذا السؤال والإتيان بالجواب إقامة حجة على المنكرين والمكذبين للمرسلين وإعلان للملأ الكبير هناك أنه لا عذر لمعتذر ولا حجة لمنكر لأن الرسالات الإلهية بلغت الرسل وأقامت الحجج والبراهين على حقيقتها وصدقها . ومن ثم لما خطب النبي ﷺ يوم حجة الوداع فى ذلك الجمع العظيم والحفل الكبير نبه الناس فقال : « أيها الناس إنكم مسؤولون عني فما أنتم قائلون » ؟ قالوا كلهم : نشهد يا رسول الله أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال ﷺ ورفع أصبعه إلى السماء « اللهم أشهد اللهم أشهد » وكان ﷺ يكثر فى خطبه من قوله « ألا هل بلغت اللهم أشهد » ولاسيما فى خطبته يوم حجة الوداع ﷺ .

وفى عالم السؤال تشهد الرسل أنهم قد بلغوا أمهم وتشهد هذه الأمة المحمدية على نبينا أفضل الصلاة والسلام للرسل قبلهم بالتبليغ

ويكون الرسول الكريم سيدنا محمد ﷺ شهيدا على أمته المتبعة بالعدالة والتزكية .

قال الله تعالى « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

روى البخارى وأصحاب السنن والإمام أحمد واللفظ له عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« يدعى نوح يوم القيامة فيقال له : هل بلغت ؟ فيقول نعم فيدعى قومه فيقال لهم : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد . فيقال لنوح : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد ﷺ وأمته قال فذلك قوله تعالى « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » . قال : والوسط العدل - فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم أشهد عليكم .

يعنى إنه ﷺ هو يزكى أمته المتبعين له ويعدهم ويشهد لهم بالثقة والعدالة حتى تقبل شهادتهم .

فلما ادعى نوح عليه السلام . أنه بلغ طولب بالبينة وهى الشهود على دعواه فلما جىء بالشهود قيل لهم : من يزكيكم ويعدلكم ؟ فقالوا : يزكينا ويشهد لنا بالعدالة سيد العالمين وأكرم الأولين والآخرين على الله تعالى .

وقد استندت شهادة هذه الأمة المتبعة على إخبار رسولها ﷺ عن ربه سبحانه الذى أنزل عليه القرآن وأخبره فيه أن نوحاً وسائر الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم وهذا الخبر أقوى فى الإثبات من رؤية العيان ، وإلى هذا نبه النبى ﷺ فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد

عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يجىء النبی ﷺ يوم القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال لهم : هل بلغكم هذا - أى نبيكم - فيقولون : لا فيقال له : هل بلغت قومك ؟ فيقول نعم . فيقال : من يشهد لك ؟ فيقول محمد ﷺ وأمته .

فيقال لهم أى لأمة محمد عليه الصلاة والسلام هل بلغ هذا قومه ؟ فيقولون : نعم فيقال - أى لأمة محمد ﷺ - وما علمكم ؟ فيقولون : جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا فذلك قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

وإنما كان خبر القرآن الكريم الذى جاء به رسولنا سيدنا محمد ﷺ أقوى من العيان : لأن العيان وحده أحد الدليلين فى إثبات الأمور إذا صح نظر المعاین ولم ينقصه البرهان ولكن إذا تضافر الدليلان : العيان والبرهان على إثبات أمر ، فليس بعده توقف ولا تبيان ، بل حينذاك لا يختلف فيه اثنان .

ولاريب أن حقية القرآن وثبت أنه كلام الله تعالى : ذلك أمر ثابت بالبرهان والعيان . كما أن حقية نبوة سيدنا محمد ﷺ وصدق رسالته ذلك ثابت بالبرهان وبالعيان . أما العيان فهى معجزاته الظاهرة فى السماوات والأرض والأحجار والأشجار ، والظاهرة فى خلقه ﷺ والظاهرة فى خلقه الشريف ﷺ .

أما البرهان العقلى فهناك براهين لا تكاد تحصى نبه إليها القرآن الكريم قال تعالى : « قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به ،

فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون .

ومعنى ذلك أن من تعقل في أمر سيدنا محمد ﷺ أيقن أنه حقا نبي الله ورسول الله لا يحتمل أمره غير ذلك فإنه ﷺ نشأ أميا لم يتعلم القراءة والكتابة ولا استمع إلى عالم أو معلم ، بل كان ينزل عن البشر وقد رعى الغنم أياما خاليا بنفسه مع ربه ، ثم حجب إليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء ، وهكذا مضت عليه أربعون سنة لم يأت بآية واحدة ، ولم يقرأ عليهم شيئا من القرآن ، ثم بعد ذلك على تمام الأربعين سنة يأتيهم بهذا القرآن المعجز ويتلوه على الناس على أسلوب خاص غير معروف عند قومه ولا بين كافة الناس ويأتى بهذا القرآن الجامع لأنواع العلوم التى لا تحصى المخبر عن العوالم التى لا تستقصى والمبين لجميع الأحكام الشرعية المشتملة على ما فيه صلاح الدنيا وسعادة الآخرة على أكمل نظام وأبدع إحكام .

قال تعالى « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء » الآية .

فعند ذلك لا ينبغي أن يختلف اثنان بعد البرهان والعيان الدالين على صدق هذا الرسول الكريم سيد ولد عدنان ﷺ تسليما . ثم إن ذلك المنصب - وهو منصب شهادة هذه الأمة على الأمم قبلها - هو منصب عال شريف ، خصت به هذه الأمة المحمدية المتبعة لرسولها ﷺ جعلنا الله تعالى منهم . ولهذا يقف هؤلاء الشهود يوم القيامة في مكان عال مشرف على الخلائق كلهم .

قال ﷺ أنا وأمتى يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق وما من الناس أحد إلا ودّ انه منا وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه قد بلغ رسالة ربه عز وجل .

ولما كان هذا المنصب شريفاً منيعاً كان حقيقاً بأن يدعى به ويسأل من الله تعالى نيله .

قال تعالى « وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ويقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » .

قال ابن عباس رضى الله عنهما في هذه الآية : أى فاكتبنا مع محمد صلى الله عليه وآله وأمه وهم الشاهدون الذين يشهدون لنبينهم أنه قد بلغ ويشهدون للرسول أنهم قد بلغوا .

موقف شهادة الرسل على أمهم .

قال الله تعالى « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا » .

يخبر الله سبحانه في هذه الآية الكريمة عن هول يوم القيامة وشدة أمره وكيف الحال يوم القيامة حين يحىء من كل أمة بشهيد يشهد عليها وهو نبيها المبعوث فيها كما قال تعالى : « ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء » .

روى البخارى والتزمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله « اقرأ على القرآن » قلت : يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : « نعم ، فإنى أحب أن أسمع من غيرى » .

قال ابن مسعود فقرأت سورة النساء حتى انتهيت إلى هذه الآية « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد » الآية

فقال ﷺ « حسبك الآن » فإذا عيناه ﷺ تذرفان . أى تدمعان .

فالمشار إليه فى قوله تعالى « وجئنا بك على هؤلاء » هم أمة محمد ﷺ « شهيدا » قال العلامة النسفى أى شاهدا على من آمن بالإيمان وعلى من كفر بالكفر وعلى من نافق بالنفاق . اهـ .

وهكذا الرسل يشهدون لمن آمن بالإيمان وعلى من كفر بالكفر .
وأما قوله تعالى : « يوم يجمع الله الرسل فيقول : ماذا أجبتكم ؟
قالوا : لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب » .

فهذه الآية لا تتعارض مع الآيات السابقة التى تثبت جواب
الرسل حين يسألهم ربهم عن أمهم وتثبت شهادة الرسل على أمهم
ولدفع التعارض وجوه :

أولا : إن قوله تعالى للرسل « ماذا أجبتكم » أى ما الذى أجابتمكم
به أمكم حين دعوتهم إلى الإيمان « قالوا لا علم لنا إلا ما علمتنا »
أى لا علم لنا بإخلاصهم وما أخفوه فى نفوسهم يدل على ذلك تمام
الآية

« إنك أنت علام الغيوب » أى ومن جملة الغيوب ما أضمره فى
خفايا القلوب ، والمعنى : لا علم لنا كعلمك فيهم لأنك تعلم
ما أضمره وما أظهره ونحن لا نعلم إلا ما أظهره وأما ما أخفوه
فى نفوسهم فلا علم لنا بذلك إلا ما علمتنا من ذلك .

ثانياً : قولهم « لا علم لنا إلا ما علمتنا » أى لا علم لنا
بما أحدثوا بعدنا فإننا نعلم منهم ما كان من أفعالهم وأقوالهم فى حياتنا
ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا إلا ما علمتنا ويكون من هذا
ما أخبر الله تعالى به عن عيسى عليه السلام بقوله « وكنت عليهم

شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم .
ثالثاً : إن الآخرة فيها مواقف متعددة فلما سئلوا في بعض المواقف
الأولى سئلوا عن أمهم ، فأجابوا واستشهدوا فشهدوا بما علموا منهم
وكان هذا السؤال لكل رسول مع أمته كما يدل عليه قوله تعالى
« فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد » ثم في موقف آخر سئلوا فلم
يجيبوا بل فوضوا علم ذلك إلى الله تعالى أدبا مع الله تعالى الذي
لا تخفى عليه خافية وكان هذا في موقف خاص جمعت فيه جميع الرسل
وحدهم دون أمهم كما يدل عليه قوله سبحانه « يوم يجمع الله الرسل
فيقول ماذا أجبتم » .



السؤال عن التكاليف

قال الله جل شأنه « فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون » وقال سبحانه « وقفوهم إنهم مسئولون » أعلم أخى وفقنا الله وإياك أنه لا بد لك من وقفة أمام الله تبارك وتعالى يسألك فيها عما قدمت يداك بحيث تقول فى نفسك ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فتسمع نداء الحق « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » .

واعلم يا أخى بأنك مسئول كل يوم عما أمرك الله به ونهاك عنه فلا يجمل بك أن يراك حيث نهاك وأن يفقدك حيث أمرك بل إن كل عضو من أعضاء جسمك مسئول كل يوم أمام الله هل أدى ما أوجه الله عليه .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ على كل ميسم من الإنسان صلاة كل يوم ، فقال رجل من القوم : هذا من أشد ما انبأنا به قال : أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صلاة وحملك عن الضعيف صلاة وانحأوك القذى عن الطريق صلاة وكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صلاة رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

وعن أبى ذر رضى الله عنه أن أناسا قالوا يا رسول الله : ذهب

أهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم قال : أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به ؟ إن بكل تسبيحة صدقة وبكل تكبيرة صدقة وبكل تحميدة صدقة وبكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن منكر صدقة . رواه مسلم وغيره .

ومما يسأل عنه المرء يوم القيامة ويعتبره الإسلام من أفضل الجهاد أن يقول الإنسان الحق لذات الحق دون اعتبار آخر .

عن أنس بن مالك عن أبي سفيان الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان أو أمير جائر .

رواه أبو داود واللفظ له ، والترمذي وابن ماجه .

ومن الأمور التي سيسأل عنها المرء يوم القيامة لم لم يأخذ على أيدي الظالمين حتى لا يغرقوا سفينة الإسلام ولماذا يقف موقف المتفرج حتى تغوص سفينة الدعوة في القاع .

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : مثل القائم في حدود الله ، والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً رواه البخاري والترمذي .

ويحذرنا الرسول ﷺ من أمور إذا وقعت في الدنيا عجل الله لأصحابها العقوبة وذلك مع سؤالهم عنها يوم القيامة وتشديد السؤال عليهم .

عن زينب بنت جحش رضى الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها فزعاً يقول : لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بين أصبعيه الابهام والتي تليها فقلت يا رسول الله انهلك وفيما الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبث . رواه البخارى ومسلم .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يا رسول الله إن الله أنزل سطوته بأهل الأرض وفيهم الصالحون فيهلكون بهلاكهم ؟ فقال : يا عائشة إن الله عز وجل إذا أنزل سطوته بأهل نقمته وفيهم الصالحون فيصيرون معهم ثم يبعثون على نياتهم رواه ابن حبان فى صحيحه .

وعن حذيفة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم . رواه الترمذى .
وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا يحقرن أحدكم نفسه . قالوا يا رسول الله وكيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : يرى أن عليه مقالا ثم لا يقول فيه . فيقول الله عز وجل يوم القيامة : « مامنعك أن تقول فى كذا وكذا ؟ فيقول : خشية الناس . فيقول : فإياى كنت أحق أن تخشى » . رواه ابن ماجه ورواته ثقات

ومما أنت مسئول عنه يوم القيامة النصح لكل مسلم عن جرير رضى الله عنه قال : « بايعت النبي ﷺ على السمع والطاعة فلقننى فيما استطعت والنصح لكل مسلم » رواه البخارى ومسلم .

وعن تميم الدارى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : الدين النصيحة قاله له ثلاثة . قال : قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم . رواه البخارى ومسلم .

ويوجه الرسول ﷺ أنظار الأمة إلى موقف إذا وصلوا إليه سئلوا أمام الله عن تقصيرهم سؤالا عصبياً إنه موقف السلبية القاتلة المدمرة موقف يهز المؤمن فيه رأسه ثم يولى مدبراً يومئذ قل على الأمة السلام فقد هبطت إلى درك لا قيام بعده .

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل إنه كان الرجل يلقي الرجل فيقول : يا هذا أتق الله ودع ما تصنع به فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال : « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون » . ثم قال : كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً . رواه أبو داود .

وعن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من رجل يكون فى قوم يعمل فيهم بالمعاصى يقدر أن على أن يغيروا عليه ولا يغيرون إلا أصابهم الله منه بعقاب قبل أن

يموتوا » . رواه أبو داود

وعن أبي بكر رضى الله عنه قال : انى سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده » رواه النسائي

وفى روايه لأبى داود : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرّون على أن يغيروا ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب .

وروى عن ذرة بنت أبى لهب رضى الله عنها قالت : قلت يا رسول الله من خير الناس ؟ قال أتقاهم للرب عز وجل وأوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر رواه أبو الشيخ فى كتاب الثواب والبيهى فى الزهد الكبير وغيره .

وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ يا أيها الناس مروا بالمعروف ، وانهاوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم وقبل أن تستغفروه فلا يغفر لكم . إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يدفع رزقا ولا يقرب أجلا وإن الأحرار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم ثم عموا بالبلاء . رواه الاصبهاني

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لا تزال لا إله إلا الله تنفع من قالها وترد عنهم العذاب والنقمة ما لم يستخفوا بحقها . قالوا يا رسول الله وما الاستخفاف بحقها ؟ قال : يظهر العمل بمعاصي الله فلا ينكر ولا يغير رواه الأصبهاني .

وعن حذيفة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول تعرض الفتن على القلوب كالخصير عودا عودا ، فأى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ، وأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضربه فتنة مادامت السماوات والأرض ، والآخر أسود مربادا كالكوز مújخيا لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه . رواه مسلم وغيره .
ومعنى الحديث : أن القلب إذا افتتن وخرجت منه حرمة المعاصي والمنكرات خرج منه نور الإيمان كما يخرج الماء من الكوز إذا مال أو انتكس .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تُودع منهم . رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : أوصانى خليلي ﷺ بخصال من الخير : أوصانى أن لا أخاف فى الله لومة لائم وأوصانى أن أقول الحق وإن كان مُرا رواه ابن حبان .

وعن عُرس بن عميرة الكندى رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : إذا عملت الخطيئة فى الأرض كان من شهدها وكرهها وفى رواية فانكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها رواه أبو داود .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : الإسلام أن تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتسليمك عن أهلِكَ فمن

انتقص شيئا منهن فهو سهم من الإسلام يدعه ومن تركهن فقد ولى الإسلام ظهره .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر . رواه أحمد والترمذي .

وعن أوى هريرة رضى الله عنه قال : كنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول له مالك إلى وما بينى وبينك معرفة فيقول : كنت ترانى على الخطأ وعلى المنكر ولا تنهانى . ذكره رزين ولم أره .

وعن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان ! مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى كنت أمر بالمعروف ولا آتية وانهى عن المنكر وآتية . رواه البخارى ومسلم .

وروى ابن أبى الدنيا قال : قال ﷺ مرت ليلة اسرى لى على قوم يقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت عادت فقلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : خطباء من أمتك يقولون مالا يفعلون . وروى عن الوليد بن عقبة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إن أناسا من أهل الجنة ينطلقون إلى أناس من أهل النار فيقولون : بم دخلتم النار ؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم ، فيقولون : إنا كنا نقول ولا نفعل . رواه الطبرانى فى الكبير .

وعن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ
إن أخوف ما أخاف عليكم بعدى كل منافق عليم باللسان . رواه
الطبرانى والبخارى .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : إن
الرجل لا يكون مؤمنا حتى يكون قلبه مع لسانه سواء ويكون لسانه
مع قلبه سواء ولا يخالف قوله عمله ويأمن من جاره بوائقه . رواه
الأصبهاني .

وعن الأغبر أبى مالك قال لما أراد أبو بكر أن يستخلف عمر بعث
إليه فدعاه فأتاه فقال : إني أدعوك إلى أمر متعب لمن وليه فاتق
يا عمر بطاعته وأطعه بتقواه فإن التقى آمن محفوظ ثم إن الأمر
معروض لا يستوجه إلا من عمل به فمن أمر بالحق وعمل بالباطل
وأمر بالمعروف وعمل بالمنكر يوشك أن تنقطع أمنيته وأن يحبط عمله
فإن أنت وليت عليهم أمرهم فإن استطعت أن تُجف يدك من دمائهم
وأن تضرهم بطنك من أموالهم وأن تحف لسانك عن أعراضهم فافعل
ولا قوة إلا بالله . رواه الطبرانى ورواته ثقات .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يبصر
أحدكم القذاة في عين أخيه ويئسى الجذع في عينه . رواه ابن حبان
في صحيحه .

جانب آخر

ويقابل هذا الجانب الذى أوعده الله أصحابه بالعقاب جانب آخر
وعده الله أصحابه الثواب والجنة والستر فى الآخرة أسأل الله أن يجعلنا
منهم قال الله جل جلاله من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن

نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة
وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا كلاً عند هؤلاء
وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا
بعضهم على بعض و تـلاآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا .

وهذه مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة التي رويت عن سيد
الخلق وحبيب الحق ﷺ تكون في مجموعها هالة من النور وباقية من
العطور وكنزاً من الدرر المنشور وأكاليل باسمة من الزهور يفوح منها
نسيم معطر باعرااف الجنة فواح الشذى جميل العطر .

تنفيس الكروب عن أصحابها

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من نفس عن
مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم
القيامة ، ومن ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في
عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » رواه مسلم وأبو داود .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال :
« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان في حاجة أخيه
كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة
من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » .
رواه أبو داود

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لا يستر عبد
عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة » . رواه مسلم

وروى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله
ﷺ : « لا يرى مؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا أدخله الله

بها الجنة » . رواه الطبراني

وعن مكحول أن عقبة بن عامر رضى الله عنه أتى مَسَلَمَةَ بن مُخَلَّد فكان بينه وبين البواب شيء فسمع صوته فأذن فقال إني لم آتِك زائراً ولكن جئتُك لحاجة أتذكر يوم قال رسول الله ﷺ : « من علم من أخيه سيئة فسترها ستر الله عليه يوم القيامة ؟ قال نعم : قال : لهذا جئت » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « من ستر عورة أخيه ستر الله عورته يوم القيامة ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته » . رواه ابن ماجه

التحذير من الأذى وكشف العورات :

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع فقال يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفيض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحلة .

ونظر ابن عمر يوماً إلى الكعبة فقال : « ما أعظمك وما أعظم حرمتك ! والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك » . رواه الترمذى

والنهي عن غيبة المسلم

الغيبة ذكر ك أخطاك بما يكره وهو غائب إن كان ما قلته فيه فقد اغتبتك وإن لم يكن فيه فقد بهته قال تعالى « ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم » وقال جل شأنه « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين

واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم . نعم لقد أبغلق الإسلام هذا الباب وأحاطه بأسوار عالية فلاذية الصنع حتى أن النبي المعصوم صلوات الله وسلامه عليه كان ينهى أصحابه عن أن يبلغوه عن أصحابه ما يغير صدره عليهم « لا تحدثوني بشيء عن أصحابي فإني أحب أن ألقاهم وأنا سليم الصدر » .

وهل كان هناك من هو أسلم منك صدرا يا رسول الله يا من اطلع الله على قلوب العباد فوجد قلبك خير قلوب العباد فاخترتك لرسالته واطلع على قلوب العباد بعدك فوجد قلوب أصحابك خير قلوب العباد فاخترهم لصحبتك لم يكن هناك صدر أسلم منك يا خير ثمرة في خير شجرة نبت في هذا الوجود لقد نبتت في حرم وبسقت في كرم فعترتك خير عترة وشجرتك خير شجرة وثمرتك خير ثمرة يا من تعلمنا الأدب وتربينا على الخلق الحميد فتقول : « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من اتبع عوراتهم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في بيته » . رواه أبو يعلى

نصيحة إلى معاوية ومن جاء بعده من الحكام :

إن هذا الحديث الذي سنسوقه الآن يدل دلالة قاطعة على نبوته ﷺ إذ فيه التصريح بخلافة معاوية مع أنه بينه وبين ولاية معاوية مدة تزيد على ثلاثين عاما فكأنه ﷺ ينظر من وراء الحجب ويستشف

الغيوب فيرى الخلافة وقد أصبحت ملكاً عضوضاً ويرى معاوية ومن جاء بعده من بنى أمية يلون أمر المسلمين وكأنى برسول الله ﷺ يرى ما ستؤول إليه حال الأمة من وشايات وفتن تعرض على القلوب كما تعرض الحصار عوداً عوداً فتن تموج موج البحر فينصح معاوية بهذه النصيحة الغالية وكذا كل من يلي أمر المسلمين إلى أن يأذن الله لهذه الدنيا أن تنزل زلزالها وتخرج أثقالها وتحدث أخبارها فاستمع معى إلى هذه النصائح التى لا تراها إلا فى كتاب واحد هو كتاب الإسلام .

عن معاوية رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إنك إن اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم أو كدت تفسدهم »
رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه .

وعن أنى أمانة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الأمير إذا ابتغى الريّة في الناس أفسدهم » . رواه أبو داود

توجيهات ممتزجة بتحذيرات

ما أصدق الرسول ﷺ إذا نصح وما أرحمه إذا وجه انه الرجل الذي وصفه مولانا تبارك وتعالى بقوله : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » .

عن ابن عباس رضی اللہ عنہما قال سمعت رسول اللہ ﷺ يقول : أنا آخذ بحجزكم أقول إياكم وجهنم إياكم والحدود إياكم وجهنم إياكم والحدود إياكم وجهنم إياكم والحدود ثلاث مرات ، فإذا أنا مت تركتكم وأنا فرطكم على الحوض فمن ورد أفلح » .

والمقصود بحزكم أى أمد يدي أنقذكم واجليكم بعيدين عن

النار ، والحجز جمع حجزه وحجزه السراويل مجمع شده والمقصود بقوله أنا فرطكم أى أنا قائدكم ومرشدكم لتشربوا من هذا الكوثر ومعنى فرط المتقدم فى طلب الماء يهيه الدلاء فمن شرب من حوضي فاز ونجا من العذاب وهو المقصود بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فمن ورد أفلح .

غيرة الله

أتدرى علام يغار الله ؟

يغار الله على من تعدى حدوده ووقع فيما حرم عليه بهذا نطق الحديث الشريف .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إن الله عز وجل يغار وغيرة الله أن يأقئ المؤمن ما حرم الله عليه » . رواه البخارى ومسلم

ومعنى يغار أى يراقب أعمال عباده ويطلب تنفيذ أوامره - قال تعالى ويحذرکم الله نفسه . ومن هذا المعنى ما رواه البخارى من قول سيدنا سعد « لو رأيت رجلا مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتعجبون من غيرة سعد ؟ لأننا أغير منه والله أغير منا ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » واصل معنى الغيرة الحمية والأنفة يقال رجل غيور وامرأة غيور .

الخداع وفعل المعاصى

من كبائر الاثم أن يكون العبد مخادعا ويخدع من فى ظنه الفاسد وخياله المريض يخادع ربه فيلقى الناس بوجه الخاشع القانت العابد الزاهد فإذا خلا بنفسه بارز الله بالمعاصى ويذك يا ابن آدم الله يدرى كل ما تضرمر يعلم ما تخفى وما تظهر وإن خدعت الناس

لم تستطع خداع من يطوى ومن ينشر تبارز الله بالمعاصي وانت تعلم أنه بالمعصية اسودت قلوب حتى تفحمت وأهلك الله أما بلغت من الطغيان ما بلغت حتى قالوا من أشد منا قوة جل جلال الله إذ يصور الخادعين بقوله : « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون » .

إن هذا المرض الذى فى قلوبهم زين لهم القبيح فأروه حسنا فهم قوم مصابون بعمى الألوان « وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون » .

جل جلال الله إذ يصور هذا الخداع فى ابداع واتقان وقوة فيقول : « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » ويزيد الله هذا المعنى بهاء على بهاء ووضوحاً فوق وضوح فيقول : « بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ايتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً » .

ثم يقول سبحانه كاشفاً خباياهم : « إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس

ولا يذكرون الله إلا قليلا مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا .

ثم بين الله مصيرهم المحتوم في الآخرة فيقول : « إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا » .

ويحدثنا ثوبان رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بأعمال أمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها الله هباءً منثورا » قال ثوبان يا رسول الله صفهم لنا حلهم لنا لا نكون منهم ونحن لا نعلم قال : أما إنهم إخوانهم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها » . رواه مالك

وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « الطابع معلقة بقائمة عرش الله عز وجل فإذا انتهكت الحرمة وعمل بالمعاصي واجترأ على الله بعث الله الطابع فيطبع على قلبه فلا يعقل بعد ذلك شيئا » .

والمقصود بالطابع الخاتم وهي محفوظة لكل إنسان فإذا عصى الله ختم على قلبه الرين وغشاه ومنعه الطاف الله وطاعته قال تعالى « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » وقال تعالى « وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون » وقال تعالى « كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون » وقال تعالى « كذلك نطبع على قلوب المعتدين » واقرأ معي قول المولى جل جلاله « ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من

تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين .

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الإله فإن الإله سريع النقم

وتأمل معي هذه الصورة المتكاملة لأحوال الناس من حيث
أعمالهم يصورها لنا سيدنا رسول الله ﷺ فيقول : إن الله ضرب
مثلاً صراطاً مستقيماً على كنفى الصراط داران لهما أبواب مفتحة على
الأبواب ستور وداع يدعو فوقه : « والله يدعو إلى دار السلام
ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » .

والأبواب التي على كنفى الصراط حدود الله فلا يقع أحد في
حدود الله حتى يكشف الستر والذي يدعو من فوقه واعظ ربه عز
وجل . رواه الترمذی

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ضرب
الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعن جنبتى الصراط سوران فيهما أبواب
مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعند رأس الصراط يقول :
استقيموا على الصراط ولا تعوجوا وفوق ذلك داع يدعو كلما هم
عبد أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال : ويحك لا تفتحه فانك إن
تفتحه تلجه . ثم فسره ﷺ فأخبر أن الصراط هو الإسلام وأن
الأبواب المفتحة محارم الله والله الستور المرخاه حدود الله والداعي
على رأس الصراط هو القرآن والداعي من فوقه هو واعظ الله في قلب
كل مؤمن .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : من يأخذ
منى هذه الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن ؟ فقال أبو

هريرة : قلت انا يا رسول الله فاخذ بيدي وعدّ خمسا قال : اتق المحارم تكن أعبد الناس وأرض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا وأحبّ للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب .
رواه الترمذی

السؤال عن التكاليف العملية :

أعلم يا عبد الله أنك ستسأل يوم القيامة عما كلفك الله به سؤالا المراد منه إظهار العدالة لا سؤال استفهام لجلاء الخفاء فإن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ومما ستسأل عنه التكاليف العملية .

جاء عن قبيصة بن حريث رضى الله عنه قال : قدمت المدينة فقلت : اللهم يسر لى جليسا صالحا يحدثنى بحديث سمعه من رسول الله ﷺ لعل الله تعالى ينفعنى به فجلست إلى أبى هريرة رضى الله عنه فقلت : إني سألت الله تعالى أن يرزقنى جليسا صالحا فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أن أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فإن صلحت فقد أفلح وانجح وإن فسدت فقد خاب وخسر وإن انتقص من فريضته شيئا قال الرب تبارك وتعالى للملائكة : انظروا هل لعبدى من تطوع ؟ (أى نوافل فوق الفرائض) فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك . رواه الترمذی والنسائي وغيرهما .



كلمة عن الصلاة

لما كانت الصلاة رأس العبادات كانت أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة والسؤال عن الصلاة إنما هو عنوان كبير للسؤال عن كل الفرائض . ولقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى عندما قرن الصلاة بالزكاة في اثنين وثمانين موضعاً تنوعت فيها أساليب القرآن فيذكرهما مرة بالفعلين الماضيين كما في قوله جل شأنه .

« إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » ومرة أخرى بالفعلين المضارعين كما في قوله جل شأنه « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرجحهم الله إن الله عزيز حكيم » .

ومرة ثالثة بفعل الأمر كما في قوله تعالى « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم » .

ومرة رابعة بأسلوب المصدر كما في قوله تعالى « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار » .

ومرة خامسة بأسلوب الصفة كما في قوله تعالى « لكن الراسخون

في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك
والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك
سنؤتيهم أجرا عظيما .

وهذه الآيات الكريمة دلت دلالة قاطعة على ما للصلاة من أهمية
مع أخواتها التي بنى الإسلام عليها فالصلاة لو لم تكن رأس العبادات
لعدت من صالحة العبادات رياضة ابدان وطهارة اردان وتهذيب
وجدان وشتى فضائل يشب عليها الجوارى والولدان أصحابها هم
الصابرون والمثابرون وعلى الواجب هم القادرون عودتهم البكور
وهو مفتاح باب الرزق وخير ما يعالج به العبد مناجاة الرازيق وأفضل
ما يرود به المخلوق التوجه إلى الخالق انظر جلال الجمع وتأمل أثرها
في المجتمع وكيف سآوت العلية بالزعم مست الأرض الجباه فالناس
اكفاء واشباه الرعية والولاية شرع في عتبة الله خر الجمع للمناخر
والصف الأول كالأخر لم يرفع المتقدم تقدمه ولم يضع
المتأخر تأخره .

جل جلال الله إذ يقول « اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم
الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله
يعلم ما تصنعون » .

وجل ثناؤه إذ يقول « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا
موقوتا » .

وعلى رسول الهدى وإمام التقى إذ يرغبنا في المشي إلى
المساجد .

فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « صلاة

الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين درجة وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى الصلاة لا يخرج به إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة فإذا صلى لم تنزل الملائكة تصلي عليه مادام في مصلاه : اللهم صل عليه اللهم ارحمه ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة وفي رواية اللهم اغفر له اللهم تب عليه ما لم يؤذ فيه ما لم يحدث فيه .

رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه ورواه ابن حبان في صحيحه ولفظه :

أن النبي ﷺ قال : من حين يخرج أحدكم من منزله إلى مسجدى فرجل تكتب له حسنة ورجل تحط عنه سيئة حتى يرجع .

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : إذا تطهر الرجل ثم أتى المسجد يرعى الصلاة كتب له كتابه أو كاتبه بكل خطوة يخطوها إلى المسجد عشر حسنات والقاعد يرعى الصلاة كالفانث ويكتب من المصلين من حين يخرج من بيته حتى يرجع إليه رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ من راح إلى مسجد الجماعة فخطوة تمحو سيئة وخطوة تكتب له حسنة ذاهبا وراجعا رواه أحمد والطبراني .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ على كل ميسم من الإنسان صلاة كل يوم فقال رجل من القوم هذا من أشد ما أوتيتا به قال : أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صلاة

وحلمك على الضعيف صلاة وإنحاؤك القدر عن الطريق صلاة وكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صلاة رواه ابن خزيمة في صحيحه .

وعن عثمان رضى الله عنه أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من توضأ فاسبغ الوضوء ثم مشى إلى صلاة مكتوبة فصلها مع الإمام غفر له ذنبه . رواه ابن خزيمة .

وعن سعيد بن المسيب رضى الله عنه قال : حضر رجلاً من الأنصار الموت فقال إني محدثكم حديثاً ما أحدثكموه إلا احتساباً إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء ثم خرج إلى الصلاة لم يرفع قدمه اليمنى إلا كتب الله عز وجل له حسنة ولم يضع قدمه اليسرى إلا حط الله عز وجل عنه سيئة فليقرب أحدكم أو ليبعد فإن أتى المسجد فصلى في جماعة غفر له فإن أتى المسجد وقد صلوا بعضاً وبقي بعض صل ما أدرك وأتم ما بقى كان كذلك فإن أتى المسجد وقد صلوا فأتم الصلاة كان كذلك » . رواه أبو داود .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « أتاني الليلة آت من ربي فذكر الحديث إلى أن قال : قال لي يا محمد أتدرى فيم يختصم الملائة الأعلى ؟ قلت نعم في الدرجات والكفئات ونقل الأقدام إلى الجماعة واسباغ الوضوء في السبرات وانتظار الصلاة بعد الصلاة ومن حافظ عليهن عاش بخير ومات بخير وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . رواه الترمذى .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لا يتوضأ أحدكم فيحسن وضوءه فيسبغه ثم يأتي المسجد لا يريد

إلا الصلاة إلا تبشيش الله إليه كما يتبشش أهل الغائب بطلعته . رواه ابن خزيمة

وعن جابر رضى الله عنه قال خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال لهم بلغنى أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد ؟ قالوا : نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك . فقال يا بنى سلمة دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم فقالوا : ما يسرنا أنا كنا تحولنا . رواه مسلم وغيره

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانت الأنصار بعيدة منازلهم من المسجد فأرادوا أن يتقربوا فنزلت الآية « ونكتب ما قدموا وآثارهم » « فثبتوا » . رواه ابن ماجه

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجرا » . رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم .

وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ ونحن نريد الصلاة فكان يقارب الخطى فقال أتدرون لم أقارب الخطى ؟ قلت : الله وسوله أعلم قال : « لا يزال العبد في صلاة مادام في طلب الصلاة » . رواه الطبراني

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم إليها أمشي فأبعدهم والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجرا من الذي يصليها ثم ينام » . رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

وعن أبى بن كعب رضى الله عنه قال : كان رجل من الأنصار لا أعلم أحدا أبعد من المسجد منه كانت لا تخطئه صلاة فقيل له لو اشتريت حمارا تركبه فى الظلماء وفى الرمضاء ؟ فقال ما يسرنى أن منزلى إلى جنب المسجد إني أريد أن يكتب لى ممشاى إلى المسجد ورجوعى إذا رجعت إلى أهلى . فقال رسول الله ﷺ : قد جمع الله لك ذلك كله .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس : تعدل بين الاثنين صدقة وتعين الرجل فى دابته فتحملة عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة . رواه البخارى ومسلم

* والسلامى بضم السين وتخفيف اللام والميم هو واحد السلاميات وهى مفاصل الأصابع قال أبو عبيد هو فى الأصل عظم يكون فى فرش البعير فكان المعنى على كل عظم من عظام ابن آدم صدقة .

ومعنى تعدل بين الاثنين أى تصلح بينهما بالعدل .
ومعنى تميط الأذى عن الطريق أى تنحيه وتبعده عنها .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط » . رواه مالك ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال « من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح » . رواه البخارى ومسلم وغيرهما

وعن أبي أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الغدو والرواح إلى المسجد من الجهاد في سبيل الله » . رواه الطبراني

والمقصود بالغدو الذهاب مبكرا والجيء فى غلس الليل للعشاء ولل فجر أى أن الذين يحافظون على صلاة العشاء والفجر جماعة يضىء الله بصائرهم ويتم نورهم ويزيد إيمانهم فتجلى عنهم غياهب الأهوال وتبعد عنهم الشدائد ويأمنون العذاب ويهتدون إلى نعيم الجنة .

وعن بريدة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : بشر المشائين فى الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة . رواه أبو داود والترمذى وعن أبي أمامة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من خرج من بيته متطهرا إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر وصلاة على إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب فى عليين » . رواه أبو داود ومعنى تسبيح الضحى يريد صلاة الضحى وكل صلاة يتطوع بها فهى تسبيح وسبح . ومعنى قوله لا ينصبه أى لا يتعبه والنصب هو التعب .

والمراد بقوله (صلاة على إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب فى عليين) أن ثواب انتظار الصلاة الجديدة بعد تأدية السابقة يحفظ فى كتاب جامع لأعمال الأبرار تشهد الملائكة على ما فيه يوم القيامة وفى

ذلك يقول الله تعالى « إن كتاب الأبرار لفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون » أى يحضرونه فيحفظونه ويقول تعالى « إن الأبرار لفي نعم على الأرائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون » أى على الأسره يرون ما يسرهم من نعم المحسن جل وعلا وفي وجوههم علامة التعم وبريقه ويروون من شراب خالص مختوم أوانيه بالمسك فليرتقب المرتقبون هذا النعيم وهذا جزاء من لم يشتغلوا بغير الله .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ثلاثة كلهم ضامن على الله إن عاش رزق وكفى وإن مات أدخله الله الجنة : من دخل بيته فسلم فهو ضامن على الله ومن خرج إلى المسجد فهو ضامن على الله ومن خرج في سبيل الله فهو ضامن على الله . رواه أبو داود وابن حبان

والمقصود بضمان الله لهم أنه جل وعلا كفيل بحفظهم وقادر على زيادة أجرهم ييسط لهم الرزق ويسلمهم من غوائل الشر ويقيمهم السوء أولا القادم إذا سلم على أهله ثانيا قاصد المسجد للصلاة ثالثا المجاهد المحارب لنصر دين الله تعالى أولئك ثلاثة يلحظهم الله بعنايته فعليك يا أخى أن تؤانس أهل بيتك وتبدأهم بتحية المسلمين « السلام عليكم ورحمة الله » وتعلمهم آداب الرسول ﷺ وأن تحافظ على جماعة المسجد في أول الوقت وأن تجاهد في اعلاء كلمة الله العليا .

وعن سلمان رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال من توضأ في بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر الله وحق على المزور أن

يكرم الزائر . رواه الطبراني

عود على بدء

وبعد الكلام عن الصلاة وأهميتها نواصل الكلام عن مسئولية الإنسان أمام الله يوم القيامة .

سؤال الإنسان عن أهله وعما استرعاه الله تعالى قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » .

قال رسول الله ﷺ « أن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع ؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » . أى هل أدى واجبه الدينى نحوهم وأحسن رعايتهم وعشرتهم أم أساء ؟ » . ويقول ﷺ أيضاً « كلكم راع ومسئول عن رعيته : الإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته وكلكم راع ومسئول عن رعيته » .

ومن هنا يجب على المرأة أن تعلم أن عليها مسئولية فى رعايتها لبيت زوجها وفى تربية الأولاد وفى قيامها فى خدمة زوجها وبيتها فلا يجوز لها أن تقصر ولا أن تسرف فى مال زوجها بل ولا تتصدق من ماله إلا بإذنه ولا تخرج إلا بإذنه لما ورد فى حديث رسول الله ﷺ « إن المرأة إذا خرجت من بيتها وزوجها كاره لعنها كل ملك فى السماء وكل شئ مرت عليه غير الجن والانس » رواه الطبراني بإسناد الثقات

سؤال الإنسان عن سمعه وبصره وفؤاده
قال تعالى « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر
والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » .

نهى الله تعالى الإنسان أن يتبع ما ليس له به علم بأن يتبع الأوهام
والظنون مما لا دليل فيه يثبت العلم .

فمعنى « ولا تقف ما ليس لك به علم » أى لا تتبع ما لم تعلم فلا
تقل رأيت وما رأيت ولا تقل سمعت والخال إنك ما سمعت ولا تقل
علمت والخال أنك لم تعلم تبنى ذلك كله على توهم وظن .

كما أنك لا ترم أحدا بما ليس لك به علم أو لدليل أو يثبت ذلك
« إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » .

إن الإنسان يسأل عن سمعه وبصره والفؤاد أين صرف ذلك وإلى
أى جهة وجهها هل تصرف بسمعه وفؤاده فيما أحل الله تعالى ! أم
فيما حرم الله فيقال للإنسان لم سمعت ما لا يحل لك سماعه ؟ ولم
نظرت إلى ما لا يحل لك النظر إليه ؟ ولم عزمت بقلبك على ما لا يحل
لك العزم عليه ؟

ولم تعلق قلبك بما لا يحل لك شرعاً ؟

ولم أحببت بقلبك ما لا يحبه الله تعالى ؟

ولم كرهت بقلبك ما يحبه الله تعالى ؟

ولم أبغضت ما يرضاه الله تعالى ؟

ولم رضيت بما يغضب الله تعالى ؟

وهكذا يسأل الإنسان عن جميع تصرفاته وتقلباته السمعية
والبصرية وعن جميع تأثيراته القلبية بالتصديق والانكار ، بالحب

والبغض ، والرضا والغضب ، والاستحسان والكراهية ،
والاستكبار والاستصغار وجميع ما هنالك من أعمال القلوب وتأثيراتها
ولذلك جاء ذكر القلب هنا بالفؤاد باعتبار أنه موضع الانفعال
والتأثر .

فليتق الإنسان ربه وليعلم أن كل ما يمر عليه سمعه وبصره وفؤاده
ويتوجه إليه فهو مسئول عنه فإن كان في الخير أجر وإن كان في
الشر خسر .

روى الترمذى عن أبى هريرة وأبى سعيد رضى الله عنهما قالوا :
قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول الله تعالى : ألم
أجعل لك سمعا وبصرا ومالا وولدا وسخرت لك الأنعام والحرث
وتركتك ترأس وتربع » وفي رواية لصحيح مسلم : ترتع ، (أى
تبتعم بالمأكل والمشرب) فكنت تظن أنك ملاق يومك هذا ؟ (أى
هل كنت تعتقد أنك سوف تلقانى فى هذا اليوم يوم القيامة) قال :
فيقول العبد (الكافر) لا . فيقول الله تعالى له : « اليوم أنساك كما
نسيتنى » . أى أتركك فى العذاب كما تركت فى الدنيا شريعتى ودينى
ولم تؤمن بلىقائى .

وروى أصحاب السنن عن شكل بن حميد رضى الله عنه قال :
أتيت النبى ﷺ فقلت يا رسول الله علمنى تعويذا أتعوذ به قال :
« فأخذ بيدي ثم قال : قل : اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى
وبصرى وشر لسانى وشر قلبى وشر عيى » قال فحفظتها .

سؤال الإنسان عن العمر والعلم والمال والجسم والشباب .
روى الإمام الترمذى وغيره عن أبى برزة الاسلمى رضى الله عنه
قال : قال رسول الله ﷺ « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى
يسأل عن عمره فيم أفناه وعن علمه ما عمل به وعن ماله من أين
اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه ؟ » .

قال الحافظ المنذرى رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح
ورواه البيهقى وغيره عن حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى
ﷺ قال : « ما تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن
عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وعن ماله من أين أكتسبه وفيم
أنفقه وعن علمه ماذا عمل به » .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لا تزول قدما
عبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيم أفناه وعن شبابه
فيم أبلاه وعن ماله من أين أكتسبه وفيم أنفقه وما عمل فيما علم » .
فلا تزول قدما العبد يوم القيامة عن موقف السؤال ولا يبرح
مكانه حتى يسأل عن عمره المقدر له فيم أفناه وصرفه : أفى طاعة الله
تعالى ورسوله أم فى المعصية ؟ وفى الخير أم فى الشر ؟ وهل ربح عمره
فشغله فى الخير والتقوى والبر ؟ أم خسره فأضاعه فى الشر والفساد
والبغى .

قال الله تعالى « والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

فلقد أقسم الله تعالى بالعصر أى الدهر المشتمل على عمر كل ذى

عمر أقسم بذلك على أن الإنسان لفي خسر أى أن كل إنسان لفي خسر لعمره الداخلى فى طى العصر ولم يخرج من تلك الخسارة لرأس ماله الذى هو عمره ويربح الربح العظيم إلا الذين آمنوا أى اعتقدوا وصدقوا بما يجب الإيمان به وبرهنوا على صدق إيمانهم بالعمل الصالح فعملوا الصالحات التى أمر الله تعالى بها « وتواصوا بالحق » أى تناصحوا فيما بينهم ونهض بعضهم بهمة الآخر نحو فعل الحق واتباعه والبعد عن الباطل وإغرائه « وتواصوا بالصبر » على عبادة الله تعالى وأوامره قال تعالى « واصطبر لعبادته » .

وقال تعالى « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها » أى أن اصطبر على الصلاة وامسك نفسك عليها بأن تؤديها فى أوقاتها ومطمئنا فى أعمالها « وتواصوا بالصبر » على ترك المناهى التى نهى الله تعالى عنها فإنها تحتاج إلى إمساك النفس عنها « وتواصوا بالصبر » على البلاء والحن التى تعترى المؤمنين ونسأل الله تعالى العافية .

فما ربح عمره واستثمره ونال خير عمره وبره إلا الإنسان المتصنف بهذه الصفات الأربع : الإيمان والعمل الصالح والتواصى بالحق والتواصى بالصبر فهو قائم بحقوق الله تعالى وقائم بحقوق خلق الله تعالى .

روى الطبرانى بإسناده عن عبد الله بن الحصين قال « كان الرجلان من أصحاب النبى ﷺ إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها ثم يسلم أحدهما على الآخر » .

وفى هذا تذكير بعضهم لبعض بالنصح والتواصى بالحق ولذلك

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : لو تدبر الناس هذه السورة
لوسعتهم .

وهكذا يسأل عن علمه ما عمل به والناس في العلم على مراتب
فكل يسأل على حسب ما عنده .

وروى البيهقي عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أنه كان يقول
إنما أخشى من ربي يوم القيامة أن يدعوني على رؤوس الخلائق فيقول
لي يا عويمر فأقول ليك ياربى فيقول ما عملت فيما علمت ؟

وروى ابن عساكر عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال له « كيف
أنت عويمر إذا قيل لك يوم القيامة أعلمت أم جهلت ؟ فإن قلت :
علمتُ قيل لك : فما عملت فيما علمت ؟ وإن قلت : جهلتُ قيل
لك : فما كان عذرک فيما جهلت ألا تعلمت » .

ويسأل الإنسان عن ماله من أين اكتسبه أى حصل عليه وجمعه
أكان ذلك من طريق شرعى وبيع وشراء وعقود صحيحة أم من
طريق غير شرعى ؟ وفيما أنفقه وصرفه ؟ هل كان ذلك في مصرف
شرعه الله تعالى أم غير مشروع ولو كان شيئاً قليلاً فإنه يسأل عنه هل
كان ما أنفقه في طريق شرعى كالإعطاء للفقراء والمساعدة في
الخيرات والمبرات أم في سبيل الشهوات والمحرمات والملاذات ؟

ويسأل الإنسان عن جسمه فيم أبلاه فهذا الجسم وما أودع الله
تعالى فيه من القوى فيم صرفها واتعبها هل صرف تلك العافية والقوى
الجسمية وتلك الأعضاء البدنية صرفها وأتعبها فيما يقربه إلى الله تعالى
وينال به سعادة الدنيا والآخرة ؟ أم أنه صرف ذلك في الشهوات
المحرمة والاهواء النفسية الباطلة حتى تعب جسمه ووهن عظمه

وخارت قواه بسبب فسقه وهتكه وانتهاكه لما حرم الله تعالى عليه .
اللهم استعمل اجسادنا في طاعتك واشهد قلوبنا أنوار تجلياتك
وأجل أفكارنا وعقولنا في آياتك وآلائك آمين .

كما يسأل الإنسان عن النعيم .

قال الله تعالى : « ثم لتسألن يومئذ عن النعيم » إن الله تعالى سوف
يسأل الإنسان عن النعيم الذى مر عليه فى الدنيا ونعم به وتلذذ من
صحة البدن ولذة الشراب والماء البارد ولذة المطعم والمأكّل ولذة
الظلال الباردة ومتمعة المطر إلى النضار والخضار وغير ذلك .

فيسأل الكافر عن ذلك سؤال تعنيف وتوبيخ وتحقير لأنه كفر
تلك النعم ، ويسأل المؤمن عن ذلك سؤال تلطيف وتشريف وتذكير
لأنه شكرها .

روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : خرج رسول
الله ﷺ ذات يوم فإذا هو بأبى بكر وعمر فقال لهما ﷺ
« ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟ » فقالا : الجوع
يا رسول الله . فقال ﷺ : « وأنا والذى نفسى بيده لأخرجنى
الذى أخرجكما ، فقوموا » فقاموا معه فأتى رجلا من الأنصار
فإذا هو ليس فى بيته فلما رآته المرأة قالت : مرحبا وأهلا . فقال
رسول الله ﷺ : أين فلان قالت : ذهب يستعذب لنا الماء ، إذ جاء
الأنصارى فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه ثم قال : الحمد لله
ما أحد اليوم أكرم أضيافا منى .

قال : فانطلق فجاءهم بعذق فيه بُسْر وتمر ورطب فقال :
كلوا ، وأخذ المدينة (أى السكين) ليذبح شاة فقال له رسول الله

ﷺ : « إياك والحلوب » أى لا تذبح شاة حلوبا فذبح لهم شاة غير حلوب فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبى بكر وعمر « والذى نفسى بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة : أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم » .

وروى ابن أبى حاتم بإسناده عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ فى قوله تعالى « ثم لتسألن يومئذ عن النعيم » قال : « الأمن والصحة » .

وروى أيضاً بإسناده عن زيد بن أسلم عن رسول الله ﷺ فى قوله تعالى : « ثم لتسألن يومئذ عن النعيم » يعنى شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الحلق ولذة النوم وفى هذا تنبيه للإنسان إلى الاهتمام بشكر نعم الله تعالى وأن يرعى نعم الله تعالى ويصرفها فيما يرضيه تعالى ويتخذها عوناً على طاعة ربه ولا يكفر نعم الله تعالى ويصرفها فى الشهوات المحرمة وفى المعاصى التى نهى الله تعالى عنها فإن ذلك يعرضها للهلاك وسوف يشدد عليه فى السؤال عنها .

نسأل الله حسن الخاتمة كما نسأله أن يدخلنا الجنة بلا سابقة حساب فإن من نوقش الحساب عذب وقد تم الفراغ من املاء هذا الكتاب مساء يوم الأربعاء ٢٢ ذى القعدة ١٤٠٠ الموافق ١٩٨٠/١/١٢

المؤلف

عبد الحميد كشك



حينما بدأنا نشر هذه السلسلة من كتب فضيلة الشيخ كشك غفلنا عن ذكر تسلسل حياته .. لأنه غنى عن التعريف .. ولكن استجابة لرسائل القراء التي تصلنا من مختلف أنحاء العالم الإسلامى والتي تطالبنا بمعرفة حياة الداعية الكبير نقدم لهم حياة المؤلف فى سطور :

● عبد الحميد عبد العزيز كشك .

● من مواليد بلدة شبراخيت محافظة البحيرة عام ١٩٣٣ .

التحق بجمعية تحفيظ القرآن الكريم ، حيث اتم حفظه للقرآن وهو فى الثانية عشرة من عمره .

● التحق بالقسم الابتدائى بمعهد الاسكندرية الدينى .

● وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية ، أنعم الله عليه بفقد البصر ، فواصل الطريق فى طلب العلم بجد ومثابرة ، بعد ما قضى حولين من عمره يطلب العلاج ، ولكنه حمد الله على قدره ، فان الله يعوض عن نور البصر ذكاء البصيرة .

● التحق بمعهد القاهرة الثانوى ، وكان الاول على فرقته دائما ، وحصل على مجموع مائة فى المائة عندما انتقل من الثالثة الى الرابعة فى القسم الثانوى ، وفى الشهادة الثانوية حصل على مجموع ٩٨ ٪ .

● التحق بكلية أصول الدين ، حيث حصل على الشهادة العالمية ، وكان ترتيبه الأول ، ومثل الأزهر الشريف فى عيد العلم عام ١٩٦١ .

● حصل على شهادة العالمية مع تخصص التدريس العالى .

● عمل اماما وخطيبا بمساجد وزارة الاوقاف .

● خطيب وامام مسجد عين الحياة (الملك سابقا) منذ عام ١٩٦٤ والآن يوجه دعوته على منبر مسجد عين الحياة بشارع مصر والسودان بالقاهرة .

● مراسلات الشيخ كشك على العنوان التالى :

الشيخ عبد الحميد كشك

٢٩ فتحى موسى — سكة الوايلى — أرض الجمعية —

حدائق القبة — القاهرة

الناشر



رقم الايداع

١٩٨٥ / ٣٠٧٢

٩٧٧ - ١٣٦ - ٠٤٠ - x

مطابع الاهرام التجارية القاهرة - مصر